العقيدة والفلسفة

نشأة الطرق الصوفية في مصر

إعـــداد
أ. حمادة محمد عيسى فرج
باحث دكتوراه بقسم العقيدة والفلسفة -
أمانة هيئة كبار العلماء -الأزهر الشريف

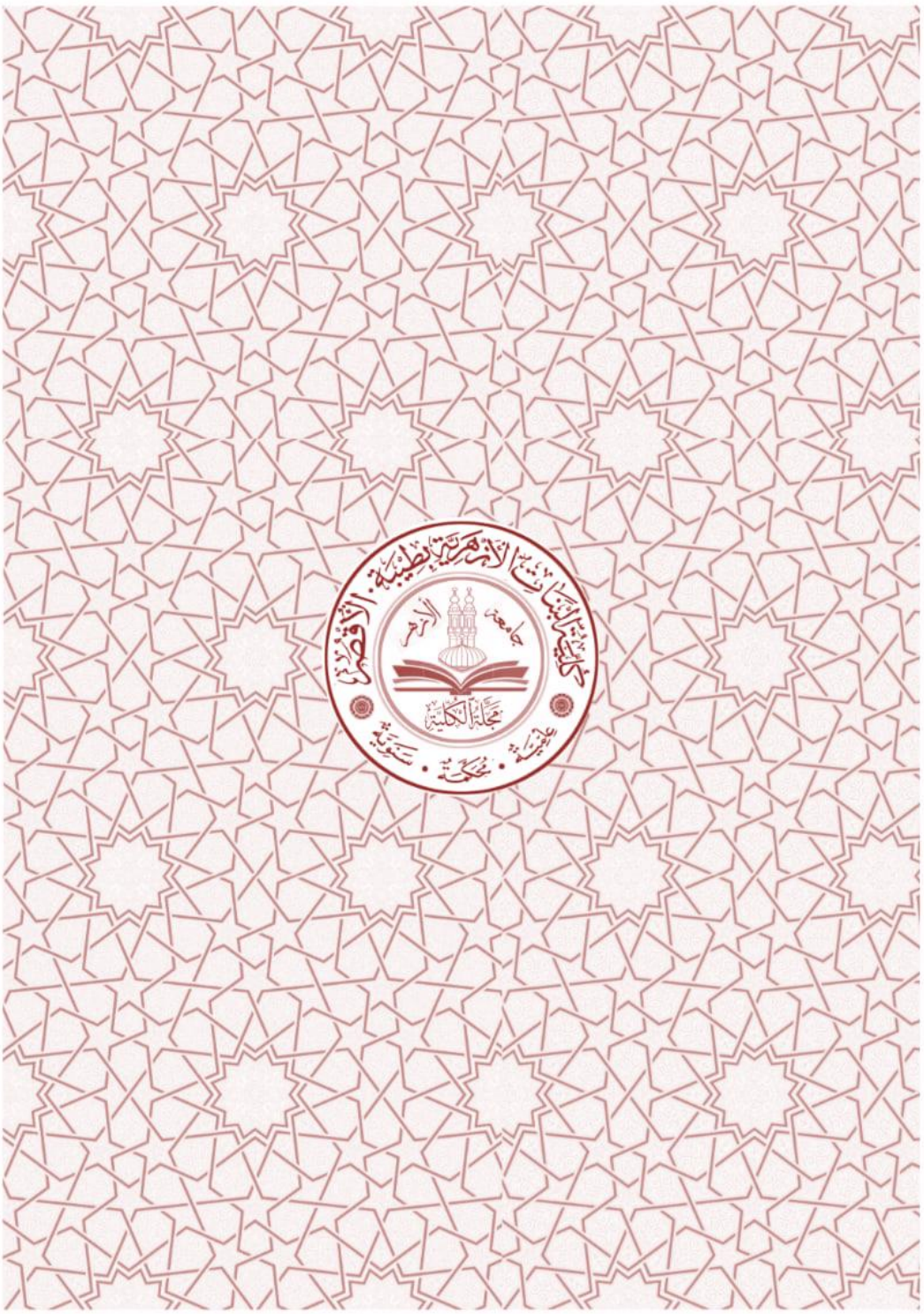
مجلة الكلية

نشأة الطرق الصوفية في مص

حمادة محمد عيسى فرج..

باحث دكتوراه بقسم العقيدة والفلسفة

أمانة هيئة كبار العلماء -الأزهر الشريف

البريد الإلكتروني:Dr.hamadaessa٨٣@gmail.com

ملخص البحث:

من خلال هذه الدراسة يتناول الباحث التعريف بالتصوف لغة واصطلاحا حيث يبين آراء العلماء فى التصوف والاختلاف عند السادة العلماء فى الاشتقاق اللغوي، واختيار ما يراه الأقرب للصواب، وكذلك يتناول التعريف الاصطلاحي للتصوف، حيث لا يقل اختلاف الصوفية في اختلاف تعريف التصوف عن اختلافهم في أصله، واشتقاقه، بل ازدادوا تعارضا وتناقضا فيه كثيرا، ثم يتناول الباحث تعريف الطريقة من حيث اللغة والاصطلاح، وكذلك الفرق بين الطريقة والمشرب، وكذلك يتناول الباحث نشأة الطرق الصوفية فى مصر ذاكرا أول من ادخل التصوف فى مصر، وأهم الطرق الصوفية فى مصر ويبين المنهج المتبع بين الطرق الصوفية، ومبينا ما إن كان هناك توافق بين الطرق أم هناك اختلاف وهل هذا الاختلاف فى الأصول أم فى الفروع

الكلمات المفتاحية: نشأة؛ الطرق، الصوفية، مصر.

The emergence of Sufi orders in Egypt.
Hamada Muhammad Issa Faraj.
I am pursuing a doctorate in the Department of Doctrine and Philosophy-
Secretariat of the Council of Senior Scholars - Al-Azhar Al-Sharif
E-**mail**: Dr.hamadaessa٨٣@gmail.com

Research Summary :
Through this study, the researcher addresses the definition of Sufism linguistically and terminologically, as he explains the opinions of scholars on Sufism and the differences among the master scholars regarding linguistic derivation, and choosing what he deems closest to the truth. He also addresses the terminological definition of Sufism, as the Sufis' differences in the definition of Sufism are no less than their differences in its origin. And its derivation, and even more conflict and contradiction in it, then the researcher discusses the definition of the method in terms of language and terminology, as well as the difference between the method and the drinker, The researcher also discusses the emergence of Sufi orders in Egypt, mentioning the first to introduce Sufism in Egypt, and the most important Sufi orders in Egypt, and shows the method followed among the Sufi orders, indicating whether there is agreement between the orders or whether there is a difference, and whether this difference is in the principles or in the branches.

Keywords: genesis; Orders, Sufism, Egypt.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، إمام المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد النبي العربي الكريم، صلى الله عليه وآله وأصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد، فإن موضوع بحثي هذا بعنوان: نشأة الطرق الصوفية ولما كان البحث عن الطرق الصوفية ونشأتها كان لزاما علينا أن نعطى نبذة ولو يسيرة عن التصوف بصفة عامة من حيث اللغة والاصطلاح والنشأة ثم بعد ذلك الحديث عن نشأة الطرق بصفة عامة ثم بدايتها فى مصر وستكون المحاور كالآتي:

أولا: قضية البحث.

تتضح قضية البحث في السؤال الرئيس الآتي: "متى نشأة الطرق الصوفية في مصر؟"

ويتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية:

١-تعريف التصوف لغة واصطلاحا.

٢-نشأة التصوف الإسلامي.

٣-تعريف الطريقة لغة واصطلاحا.

٤-نشأة الطرق الصوفية.

٥-نشأة الطرق الصوفية في مصر.

ثانيا: أهداف البحث:

-التعريف بالتصوف من حيث اللغة والاصطلاح.

- نشأة التصوف الإسلامي.

-التعريف بالطرق الصوفية من حيث اللغة والاصطلاح.

-تحديد تاريخ نشأة الطرق الصوفية وبدايتها في مصر.

ثالثا: أهمية البحث.

تتضح أهمية البحث فيما يلي:

١-معرفة التصوف من حيث اللغة والاصطلاح.

٢-اختلاف العلماء في مفهوم التصوف وبدايته.

٣-نشأة التصوف الإسلامي.

٤-التعريف بالطرق الصوفية من حيث اللغة والاصطلاح والنشأة.

٥-بداية الطرق الصوفية في مصر.

رابعا: منهج البحث.

تعتمد الدراسة على المنهجيين البحثيين التاليين.

١-سوف يعتمد الباحث على المنهج التاريخي بغرض تتبع نشأة الطرق الصوفية في مصر، والظروف التي وجدت فيها، حيث يهتم الباحث بتحديد الأصول والجذور التاريخية للطرق الصوفية في مصر، وأول من أدخل التصوف في مصر.

٢-سوف يعتمد الباحث المنهج التحليلي: لأن طبيعة الدراسة تفرض على الباحث أن يتبنى هذا المنهج حيث إن الباحث يقوم بذكر آراء العلماء، ومن ثم يقوم بذكر الرأي الراجح أو الرأي الذي يتبناه من حيث التعريف بالتصوف ونشأته.....

خامسا: خطة البحث.

وتتكون خطة البحث من ثلاثة مباحث وعدة مطالب.

المبحث الأول: التعريف بالتصوف لغة واصطلاحا وفيه مطلبين.

المطلب الأول: تعريف التصوف لغة.

المطلب الثاني: تعريف التصوف اصطلاحا.

المبحث الثاني: نشأة التصوف.

المبحث الثالث: نشأة الطرق الصوفية وفيه مطالب.

المطلب الأول: تعريف الطريقة من حيث اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الطريقة من حيث الاصطلاح.

المطلب الثالث: بداية نشأة الطرق الصوفية.

المطلب الرابع: بداية الطرق الصوفية في مصر.

المبحث الأول:
التعريف بالتصوف لغة واصطلاحا

وفيه مطلبان.

المطلب الأول:
تعريف التصوف لغة:

تأتي كلمة التصوف في اللغة بمعني الصوف المعروف للشاة ونحوها، كما أنها تأتي بمعني عدل ومال.

قيل: الصوف للشاة والصوفة أخص منه وصوفة أبو يحي من مطر، وهو الغوث بن مر بن اد بن طلخه بن لياس من مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أن يفيضوا بهم.

قال الشاعر

ولا يريمون في التعرف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صوفان

وكبش صاف، أي كثير الصوف.... وصاف السهم عن الهدف يصوف وتصيف أي عدل عنه

ومنه قولهم صاف عني شر فلان، وأصاف الله عني شره [١]

والتصوف عند أبى الحسن الشاذلي: هومن يرى الخلق في طي سره كالهباء في الهواء، لا موجودين ولا مقدمين، حسبما هم في علم رب العالمين [٢]

ويقول أبو العباس المرسى تلميذ الشيخ الشاذلي: الصوفي مركب من حروف أربعة الصاد والواو والفاء والياء فأما الصاد فهي تدل على صبره وصدقه وصفاؤه، والواو تدل على وجده وورده ووفاؤه، والفاء فقده وفقره وفناؤه، وأما الياء فتدل على النسبة إذا

---

(١) الصحاح تاج اللغة، إسماعيل الجوهري، مادة صوف (١٣٨٩/٤-١٣٨٨) القاموس المحيط للفيروز اباد مادة صوف (١٦٩/٣) لسان العرب مادة صوف (٢٠٠/٩).

(٢) لطائف المنن صـ٣١٤ ودرة الأسرار صـ١١٢,١١٣.

تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرة مولاه. [١]

- وجاء في (المصباح المنير) أن كلمة "صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية". وعلى هذا تكون كلمة تصوف مبتدعة محدثة وغير معروفة عند العرب الأوائل ولا في عصر الرسول وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

وذهب الكلاباذي ت ٣٨٠ هـ [٢] إلى أن أصل الصوفية ينتسبون إلى الصفاء وأنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم.

والذي ذهب إلى ذلك نظر إلى حال الصوفية الأوائل ولم ينظر إلى الاشتقاق اللغوي لذلك يرى القشيري [٣] أن هذه النسبة غير صحيحة لغة؛ لأننا لو نسبنا أحدًا إلى الصفاء لقلنا صفائي.

كما أن صفاء القلوب ونقاءها ومعرفة الباطن لا يعلمه إلا الله عز وجل، وادعاء الصوفية ذلك تزكية لأنفسهم والله عز وجل يقول: **(فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)**[٤] وخيار الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم لم يكن أحدهم يزكي نفسه، بل كان يعمل العمل ويسأل الله القبول ويخشى عدم القبول.

---

(١) لطائف المنن صـ ٢١٦

(٢) الكلاباذي: (٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، أبو بكر: من حفاظ الحديث. من أهل بخاري. له " بحر الفوائد - خ " ويعرف بمعاني الأخبار، جمع فيه ٥٩٢ حديثا " و " التعرف لمذهب أهل التصوف الأعلام للزركلي ط: دار العلم للملايين ٢٩٥/٥

(٣) القشيري (٥١٤ هـ =١١٢٠ م): عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر: واعظ، من علماء نيسابور، من بني قشير. علت له شهرة كأبيه. زار بغداد في طريقة إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان (إطفاء للفتنة ببغداد) فذهب إليه ولقي منه إكراما. وعاد إلى نيسابور، فلازم الوعظ والتدريس إلى أن فلج. وتوفي بها. كان ذكيا حاضر الخاطر، فصيحا، جريئا، يحفظ كثيرا من الشعر والحكايات. له (المقامات والآداب -وغيره) تصوف ووعظ. الأعلام للزركلي ط: دار العلم للملايين ٣٤٦/٣

(٤) [النجم:٣٢].

قال زكي مبارك[١] (إن نسبة التصوف إلى الصفاء ليس إلا حذلقة من قبل بعض الصوفية وليس إلا ضربا من الإغراب)[٢]وسئل الشِّبْلِيُّ (ت ٣٣٤هـ)[٣] رضي الله عنه عن الصوفية لما سميت بهذا الاسم فقال:" هذا الاسم الذي أطلق عليهم، اختلف في أصله وفي مصدر اشتقاقه: ولم ينته الرأي فيه إلى نتيجة حاسمة بعد. [٤] ولقد نقل الطوسي أبو نصر السراج[٥]) في كتابه الذي يعد أقدم مرجع صوفي، عن صوفي أنه قال: (كان في الأصل صفوي, فاستثقل ذلك , فقيل: صوفي -مأخوذ من الصفاء)[٦]

وينقل الكلاباذي أبو بكر محمد الصوفي[٧])المشهور عن الصوفية أقوالًا عديدة

٧- زكي بن عبد السلام بن مبارك: أديب، من كبار الكتّاب المعاصرين. امتاز بأسلوب خاص في كثير مما كتب. وله شعر، في بعضه جودة وتجديد. ولد في قرية (سنتريس) بمنوفية مصر، وتعلم في الأزهر، وأحرز لقب (دكتور) في الآداب، من الجامعة المصرية، واطلع على الأدب الفرنسي في فرنسا، واشتغل بالتدريس بمصر. وانتدب للعمل مدرّسا في بغداد. وعاد إلى مصر، فعين مفتشا بوزارة المعارف. ونشر مؤلفاته في فترات مختلفة. وكان في أعوامه الأخيرة يوالي نشر فصول من مذكراته وذكرياته في فنون من الأدب والتاريخ الحديث تحت عنوان (الحديث ذو شجون) وأصيب بصدمة من (عربة خيل) أدت إلى ارتجاج في مخه فلم يعش غير ساعات، وكانت وفاته في القاهرة، ودفن في سنتريس.

(٢) انظر كتاب: قضية التصوف المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي: د. عبد الحليم محمود، المكتبة التوفيقية، ط٢، ٢٠١٥م.

(٣) هو دلف بن جعفر الشبلي البغدادي، وقيل: أبو بكر جحدر الشبلي، صاحب الجنيد وغيره، وكان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكن. توفي سنة ٣٣٤هـ

(٤) (أبحاث في التصوف) للدكتور عبد الحليم محمود، المدرجة في مجموعة مؤلفاته ص ٥٥ ط دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى ١٩٧٩

(٥) هو أبو النصر عبد الله بن علي السراج الطوسي الملقب بطاووس الفقراء، توفي في رجب سنة ٣٧٨هـ

(٦) انظر (كتاب اللمع) ص ٤٦ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٠ م. نقلا من كتاب التصوف النشأ والمصدر ج١ص٢٠

(٧) الكلاباذي: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي من =

في أصل هذه الكلمة واشتقاقها, فقال: (قالت طائفة: إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها , ونقاء آثارها. وقال بشر بن الحارث[١]: الصوفي من صفت لله معاملته, فصفت له من الله عز وجل كرامته).[٢]

ونجم الدين كبرى[٣] رجح كون كلمة التصوف مشتقة من الصوف, وأضاف (بأن أول من لبس الصوف آدم وحواء, لأنهما أول ما نزلا في الدنيا كانا عريانين, فنزل جبريل بالخروف فأخذا منه الصوف, فغزلت حواء ونسجه آدم ولبساه , وكذلك موسى عليه السلام لبس الصوف، وأن يحيى وزكريا ونبينا محمد أيضا كانوا يلبسون الصوف.

وقال أبو نعيم الأصبهاني[٤] المتوفى ٤٣٠هـ في حليته: "واشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة فإنه تفعل من أحد أربعة أشياء، من الصوفانة، وهي بقلة رعناء قصيرة، أو من صوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة، أو من صوفة القفاء وهي الشعرات النابتة في متأخرة، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن[٥]

أهل بخاري (المتوفى: ٣٨٠هـ ٩٩٠ م): من أشهر كتبه التعرف لمذهب أهل التصوف وبحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار

(١) بشر بن الحارث هو بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي البغدادي، المشهور بالحافي ولد سنة ١٥٢هـ، وارتحل في العلم وأخذ عن مالك وشريك وحماد بن زيد، وكان رأسًا في الورع والإخلاص، مات رحمه الله في سنة ٢٢٧هـ

(٢) انظر كتاب التصوف النشأة والمصدر: إحسان ظهير ٢٠/١.

(٣) هو أبو عبد الله أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله خوارزمي المشهور بنجم الدين كبرى الملقب بالطامة الكبرى المتوفى ٦١٨ هـ وله مؤلفات كثيرة باللغة الفارسية واللغة العربية.

(٤) ابو نعيم الاصبهاني هو: احمد بن عبد الله بن احمد، اشتهر باسم: ابو نعيم الأصبهاني المولود سنة ٣٣٦هـ تاريخ الوفاة: ٤٣٠هـ - ١٠٣٨م وهو صاحب (الحلية) حافظ كبير الشأن. قال عنه الذهبي صدوق قرن الوفاة: ٥هـ - ١١ م

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للأصبهاني ج ١ ص ١٧ ط دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ

ورجح أبو نعيم الأصبهاني اشتقاق التصوف كونه مأخوذ من الصفاء فقال: اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء) [١]

يقول الشيخ عبد الواحد يحيي: "أما أصل هذه الكلمة " صوفي "فقد اختلف فيه اختلافا كبيرا، ووضعت فروض متعددة، وليس بعضها أولي من بعض، وكلها غير مقبولة.

إنها في الحقيقة تسمية رمزية، وإنه لمن الرائع أن نلاحظ: أن القيمة العددية لحروف "صوفي" تماثل القيمة العددية لحروف "الحكيم الإلهي " فيكون الصوفي الحقيقي إذن، هو الرجل الذي وصل إلى الحكمة الإلهية إنه" العارف بالله " إذ أن الله لا يعرف إلا به. وتلك هي الدرجة العظمي "الكلية" فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة)[٢]

[٣] ويري الدكتور عبد الحليم محمود:- أن لفظة "التصوف " تنتسب إلى الصوف، وكما أنه يقال: تقمص إذا لبس القميص – كذلك يقال: تصوف إذا لبس الصوف، ومن أبرز القائلين بهذا الرأي: المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ "مصطفي عبد الرازق" والمرحوم الدكتور " زكي مبارك" والمستشرق "مرجليوث" وإذا كانت الكلمة تنتسب إلى الملبس – وهو مظهر وشكل ورسم – فليس معني ذلك أن التصوف مظاهر وأشكال.[٤] والرأي الذي عليه غالبية الباحثين هو أن كلمة صوفي منسوبة إلى الصوف، وهذا الاشتقاق لا يخالف القياس اللغوي وقد قال به أبو النصر السراج قديما حيث يقول: "نسبوا إلى ظاهر اللباس؛ لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للأصبهاني ج ١ ص ١٧ ط دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.

(٢) قضية التصوف الدكتور عبد الحليم محمود المقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزإلى ص٢٣ وما بعدها الطبعة الثانية ٢٠١٥ م المكتبة التوفيقية.

(٣) الأنوار السنية والمنن الهية في طريق أهل الله الصوفية المسماة بالطريقة العروسية الشاذلية للشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحازمي الطرابلسي صـ٧ سنة١٣٨٤هـ-١٩٦٤م دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة.

(٤) السابق ص٢٥

المتنسكين [١] ويؤيد هذه النسبة إلى الصوف نصوص عديدة من الأقوال المؤلفين المسلمين –كما يقول المستشرق نولدكه أيضا –فالمسلمون في القرنين الأولين للإسلام كانوا يلبسون الصوف وبخاصة من كان منهم يسلك في حياته طريق الزهد. وكانوا يقولون: لبس فلان الصوف بمعني تزهد ورغب عن الدنيا فلما انتقل الزهد إلى التصوف قالوا لبس فلان الصوف بمعني أصبح صوفيا.[٢]وإذا كانت كلمة الصوفي –بناء علي ذلك –تنتسب إلى الملبس وهو مظهر وشكل فليس معني ذلك أن التصوف مجرد مظاهر وأشكال. وأيا ما كان الأصل الذي اشتق منه مصطلح الصوفي فإن العبرة ليست في المظهر ولكن في المضمون الذي يشتمل عليه لتصوف وهذا ما يؤخذ من التعريفات العديدة للتصوف [٣])

(وهناك من المستشرقين من ذهب إلى القول بأن التصوف من مصدر فارس ومن هؤلاء ثولك (thoulk)، من قدماء المستشرقين في القرن التاسع عشر والذي ذهب إلى أن التصوف الإسلامي مأخوذ من أصل مجوسي, وحجته في ذلك أن عددا كبيرا من المجوس ظلوا علي مجوسيتهم في شمال إيران بعد الفتح الإسلامي، وأن كثيرون من مشايخ الصوفية الكبار ظهروا في الشمال من إقليم خرسان، وأن بعض مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من أصل مجوسي)[٤]

ومن خلال ما تم سرده من آراء في أصل كلمة تصوف فإنني اتفق مع كثير من العلماء في أن كلمة تصوف من حيث اللغة مشتقة من الصوف وهذا ما قال به أبو النصر السراج، والدكتور عبد الحليم محمود، وغيرهما، إلا إنني لا اتفق مع من قال أن من لبس الصوف أصبح متصوفا أو صوفي لأن التصوف ليس مجرد مظهر ولكن

(١) انظر كتاب اللمع ص٤١

(٢) انظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكسون ص٦٦ وما بعدها. وكذلك د/عبدا لحيم محمود في نشرته المنقذ من الضلال ص٨٥ وما بعدها.

(٣) موسوعة التصوف رفو ٨ ص١٩ ط/ القاهرة ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م

(٤) انظر مقدمة الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفي لبعض ابحاث نيكولسون التي قد ترجمها إلى العربية بعنوان في التصوف الإسلامي وتاريخه ط القاهرة ١٩٤٧م

التصوف جوهر ولأن التصوف أفعال وليس مجرد أقوال ولوكان التصوف مجرد ارتداء الثوب الخشن والأكل الخشن لاقتصر التصوف علي الفقراء فقط الذين يلبسون الخشن بسبب عدم قدرتهم علي شراء ما يغنيهم عن شراء الثوب الخشن والطعام الخشن ولو أن هذا الفقير رزق بالمال فاشتري ما يغنيه عن هذه الثياب الخشنة لتجرد من صوفيته

لذلك نري أن الصوفية الحقة لا تقتصر علي الفقراء فحسب ولكن تشمل كل إنسان صفى قلبه وعقله من شوائب الدنيا وملذاتها وكانت الدنيا في يده ولم تكن في قلبه.

المطلب الثاني
تعريف التصوف اصطلاحا:

لقد عرف العلماء التصوف بعدة تعريفات مختلفة ولا يقل اختلاف الصوفية في اختلاف تعريف التصوف عن اختلافهم في أصله واشتقاقه بل ازدادوا تعارضا وتناقضا فيه كثيرا ولقد ذكر صوفي فارس قطب الدين أبو المظفر منصور بن ارد شير السنجي المروزي المتوفي سنة ٤٩١هـ اكثر من عشرين تعريفا[١]وكذلك فإن السراج الطوسي في اللمع أن تعريفات التصوف تتجاوز مئة تعريف [٢]وذكر ايضا القشيري في رسالته أكثر من خمسين تعريفا من الصوفية المتقدمين[٣] وقال السهر وردي (وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد علي ألف قول)[٤]كما ذكر المستشرق نيكلسون ثمانية وسبعين تعريفا [٥]وعلى هذا فإننا نجد أنفسنا أمام عدة تعريفات للتصوف لا يمكن حصرها في بحثنا هذا لذلك فإننا نختار من هذه التعريفات الكثيرة بعض النماذج. لكن قبل ذكر التعريفات لا بد أن نفرق بين الصوفي والمتصوف

فالصوفي: هو من سلك الطريق إلى الله علي نور وبصيرة، سلك على كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- فالتزم ما أمر الله به، و انتهى عمَّ نهي الله عنه واتبع سنة رسوله -ﷺ- في أقواله وأفعاله وأطاع أستاذه ومرشده فصفت سريرته ونارت بصيرته.أما المتصوفة فهم أولئك الذين يتشبهون بالصوفية وهم لا يألون جهدا أن يكونوا مثلهم فمنهم من يتشبه بهم علي فهم وعلم و قد يفلحون، ومنهم من يتشبه بهم علي جهلهم

(١) انظر مناقب الصوفية فارس ص ٣١وما بعد باهتمام محمد تقي دانش بيوه وايرج فشارط ط طهران١٣٦٢ هجري قمري

(٢) انظر اللمع للطوسي ص٥٣ وبعدها

(٣) الرسالة القشيرية ج ٢ ص٥٥١ وبعدها

(٤) وقال الحامدي (الاقوال المأثورة في التصوف قيل انها زهاء الفين)

(٥) انظر التصوف الإسلامي وتاريخه ترجمة عربية للدكتور ابي العلاء عفيفي ص٢٨ وما بعد ط القاهرة

وأحوالهم فهذا لا يدري أنه في حاجة إلى من يدري.[١] وقد روي عن الطوس بإسناد يقول: سمعت أبو بكر بن المثاقف يقول: سألت الجنيد بن محمد عن التصوف، فقال: الخروج عن كل خلق رديء والدخول في كل خلق سني، وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال: سمعت محمد بن خفيف يقول: قال رويم: كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق.[٢] ونقل العطار عن الجنيد أنه قال: وقال يوسف بن الحسين [٣]) لكل أمة صفوة وهم وَدِيعَة الله الَّذين أخفاهم عن خلقه فإن يكن منهم في هذه الأمة فهم الصُّوفِيَّة. ويقول الشبلي أيضا التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك ويقول (التصوف لا حال يقل ولا سماء يظل) أي أن الصوفي لا يثبت علي حال واحدة لأنه في ترقي باستمرار، فاذا ثبت علي حال واحدة اصبح كماء راكد لا يجري فهو دائم في تصفية نفسه ويعينه علي ذلك افتقاره إلى الله. ولذلك قال (ليس للمريد فترة ولا للعارف علاقة ولا للمحب شكوي ولا للصادق دعوي ولا للمخالف قرار ولا للخلق من الله فرار) ويقول مفسرا معني أخر للصوف (ما أحوج الناس إلى سكرة قيل له أي سكرة؟ قال: سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم والدنيا وما فيها وقال الشبلي ايضا عن التصوف (هو اقتداء برسول الله ﷺ قال الله تعالى " قل

(١) انظر كتاب التصوف علم واتباع والرد على من اتهموا رجاله بالابتداع بقلم عبد الاله الزهراوي الحامدي الشاذلي الطبعة الأولي ٢٠١٣ طبع بمطابع دار نهضة مصر ال نشرص١٧-١٨.

(٢) انظر كتاب تلبيس ابليس للإمام جمال الدين ابي الفرج الجوزي تحقيق خالد بن محمد بن عثمان قدم له علي عبد العال الطهطاوي الطبعة الأولي ١٤٢٢هجريا٢٠٠١م ص١٨٢.

٣-يوسف بن الحسين أبو يعقوب الرازي شيخ الرأي والجبال في وقته وكان عالما أديبا، صحب ذا النون المصري، وأبا تراب الخشبي، من أقواله لأن ألقي الله تعإلى بجميع المعاصي أحب إلى من أن القاه بذرة من تصنع. توفي رحمه الله سنة أربع وثلاثمائة انظر الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ٩٥/١ ط٢ دار المعارف تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود الشريف

هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)[١]

(فتبين أن التبصر في الدين أصل من أصوله وأن من أخذ الأمور أما له في عماية فليس بمتبع للشرع لكن الناس ثلاثة عالم متمكن وتبصره في المسائل لطلب الدليل وإن لم يكن مجتهدا ومتوسط في الأمرين بين العامة والعلماء فلا يصح اتباعه إلا لمن تبصر في شأنه وأوجب له ما علم من الشريعة إن هذا ممن يقتدى به ثم لا يأخذ منه ما يأباه ما علمه من قواعد الشريعة إذ لا يجوز لأحد أن يتعدى " ولا تقف ما ليس لك به علم)[٢]وعامي وحقه أن يقف مع مالا يشك في حقيقته من تقوى الله تعالى وذكره والعمل على الجادة التي لا يشك فيها وإلا فهو مستهزئ بدينه ومتلاعب به فاعلم ذلك وإن لم يكن الفتح فيما جاء عن الله ورسوله -ﷺ- ففي أي شيء يكون نسأل الله تعالى السلامة)[٣] قال رجل لسهل بن عبد الله التسترِي[٤] من أصحب من طوائف النَّاس فقال عليك بالصوفية فإنهم لا يستكثرون ولا يستنكرون وَلكُل فعل عِنْدهم تَأْوِيل فهم يعذرونك على كل حَال.

يقول ابن خلدون: "هذا العلم . يعني التصوف . من علوم الشريعة الحادثة في المِلَّة؛ وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة

(١) سورة يوسف الآية (١٠٨)

(٢) سورة الاسراء الآية (٣٦)

(٣) انظرا كتاب ايقاظ همم اولي الابصار للاقتداء سيد المهاجرين والانصار ج١ ص٩٢

(٤) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري أحد أئمة القوم، لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع وفقه العبارة وهو ابن عشر سنين فكان يجيب وكان من كلامه كل عالم خاض في الدنيا فلا تصغ لكلامه، بل يتهم فيما يقول توفي رحمه الله سنة ثلاث وثمانين ومائتين. انظر الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ٥٩/١

والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[١] ويقول الإمام الشعراني[٢] في الطبقات الكبرى: " إن علم التصوف عبارة عن انقداح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وأدب، واسرار وحقائق تعجز الألسن عنها نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا من عمله العلل وحظوظ النفس.

وكما أن علم المعاني والبيان زبدة علم النحو، فمن جعل علم التصوف علما مستقلا صدق، ومن جعله عين أحكام الشريعة صدق، كما أن من جعل علم المعاني والبيان علما مستقلا فقد صدق، ومن جعله من جملة علم النحو فقد صدق. لكنه لا

(١) انظر مقدمة بن خلدون ج٣ ص٩٨٩

(٢) الإمام الشعراني هو أبو المواهب الإمام عبد الوهاب الشعراني ولد علي اصح الآراء في ٢٧ من شهر رمضان عام ٨٩٨هـ ببلدة قلقشندة وهي قرية جده لأمه،ثم انتقل بعد اربعين يوما من مولده إلى قرية أبيه – ساقية أبي شعرة وإليها انتسب، فلقب بالشعراني واشتهر به وإن كان هو قد لقب نفسه بالشعراني وأما نسبه فيرتفع إلى الدوحة العلوية الهاشمية وجده الأعلى محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقد هاجر أجداده إلى المغرب الأقصى في الموجات المهاجرة من البيت العلوي التي اختارت الاطراف النائية من الإمبراطورية الإسلامية ببلاد الصعيد واستمرت اسرة الشعراني بالصعيد حتي مطلع القرن التاسع الهجري فهاجر عميدها احمد إلى ساقية أبي شعرة بالمنوفية، واسس بها زاوية العلم والعبادة ولقد ترعرع الشعراني وتربي علي العلم وتتلمذ علي ايدي العلماء الافاضل مثل جلال الدين السيوطي، وزكريا الانصاري، وناصر الدين اللقاني،والرملي، وغيرهم ولقد كان الشعراني صوفيا في منهجه الذي أخذ نفسه به طوال حياته، يقول في المنن، إن من منن الله عليَ أن ألهمني مجاهدة نفسي من غير شيخ منذ طفولتي توفي الشعراني ستة ٩٧٣هـ رحمه الله انظر كتاب الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للإمام العلامة بن عبد الوهاب الشعراني الجزء الأول حققه طه عبد الباقي سرور، والسيد محمد عيد الشافعي، مكتبة دار المعارف ببيروت.

يشرف علي ذوق أن علم التصوف تفرع من عين الشريعة إلا من تبحر في علم الشريعة حتي بلغ الغاية".[١])

وقيل أن التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال وقيل مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل وقيل تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسول الله ص - في الشريعة وقيل ترك الاختيار وقيل بذل المجهود والأنس بالمعبود وقيل حفظ حواسك من مراعاة أنفاسك وقيل الإعراض من الاعتراض - وقيل هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرغ عن الدنيا وقيل الصبر تحت الأمر والنهي وقيل خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف وقيل الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس مما في أيدي الخلائق[٢]

(١) انظر كتاب التصوف علم واتباع والرد علي من اتهموا رجاله بالابتداع بقلم عبد الاله الزهراوي الحامدي الشاذلي ص١٥ الأولي يناير ٢٠١٣ الطبعة

(٢) انظر من كتاب التعريفات للجرجاني ج١ ص٨٣

المبحث الثاني
نشأة التصوف

تعددت آراء الباحثين حول نشأة التصوف الإسلامي الى عدة آراء نذكر منها البعض على سبيل المثال لا الحصر

: يري بعض العلماء أن نشأة التصوف كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس على الدنيا، وانصرف أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية، وهم الذين دعوا إلى الحب المجرد من الخوف والرغبة، فخالفوا بذلك سبيل الأنبياء الذين قال الله فيهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}(١)

وقيل إن أول من عرف باسم صوفي في المجتمع الإسلامي (هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني الهجري)(٢)

وذكر ابن تيمية في كتابه الصوفية والفقراء(٣) أن أول ما ظهرت الصوفية بالبصرة، وأول من بني دويرية الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد وعبد الواحد(٤) من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية(٥)

---

(١) سورة ابراهيم عليه السلام الآية رقم ٩٠

(٢) المصدر: مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي لمحمود يوسف الشوبكي (مجلة الجامعة الإسلامية- المجلد العاشر) ص ١٨

(٣)سبقة ترجمته ص٢٣ من نفس البحث

(٤) عبد الواحد بن زيد هو من اوائل الصوفية: اعتبره ابن تيمية (الصوفي الأول) اشتهر بمواعظه الروحية حتي قيل ان رجلا مات في مجلس وعظه من شدة التأثر وقيل ايضا في حقه لو قسم بث عبد الواحد بن زيد علي اهل البصرة لوسعهم توفي سنة ١٧٧ هجريا

(٥) انظر كتاب الصوفية والفقراء لابن تيمية ص ١٢ قدم لها الدكتور محمد جميل غازي دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع

الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام بن تيمية ص ٥ ط القاهرة، أيضا مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧ , تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٥٧ دار القلم بيروت لبنان.

وقد روي أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف فقال إن قوما يتخيرون الصوف، يقولون إنهم متشبهون بالمسيح ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وهدي نبينا أحب إلينا، وكان نبينا عليه الصلاة والسلام يلبس القطن وغيره أو كلا من نحو من هذا [١]

في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل [٢].

وأبي سليمان الداراني[٣] وغيرهما ونقل الشيخ ابن حجر من عبارة شيخ الإسلام قائلا إن ابن تيمية رحمه الله يعد التصوف من البدع المستحدثة في الإسلام:ويقول في كتابه أمثلة لبدع العقائد والعبادات واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين كما أخبر بها النبي حيث قال: « من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ؟ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء، وبدعة التشيع والخوارج ولما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، ثم في أواخر عصر الصحابة حدثَ القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة، وحدثت المرجئة قريبا

(١) انظر كتاب الصوفية والفقراء لابن تيمية ص ١٣ قدم لها الدكتور محمد جميل غازي دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع

(٢)سبق ترجمته ص٢٤ من نفس البحث

(٣) ابو سليمان الدار اني هو ابو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني من أهل داران من كبار صوفية الإسلام عاش حياة الزهد والورع والاشتغال بأمور الدين والابتعاد عن الدنيا وكان يقول من صارع الدنيا صرعته ومن اقواله ايضا لكل شيء مهر ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها ويحكي انه كان في خلوته يدعو الله فاشتد البرد فخبأ إحدى يديه من البرد وبقيت الأخرى ممدودة فأخذ ه النعاس وهو علي هذا الحال فسمع هاتفا يقول يا أبا سليمان قد وضعنا في يدك الممدودة ما نالك من خير الليلة ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ايضا قال الداراني فأليت علي نفسي ألا ادعو الله ويداي خارجتان حرا كان الزمن او بردا توفي رحمه الله سنة٢١٥هـ

من ذلك. وأما الجهمية فإنها حدثت في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز، وقد روي أنه أنذر بهم، وكان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك. هذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال وحدثت الفتن بين المسلمين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع وتنوعت. وقد روى عن سفيان الثوري[١] أنه تكلم به , وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري

ومنهم من يري أن الزمن الذي ورد فيه لفظ الصوفي في تاريخ الفكر الإسلامي باعتباره لقبا مفردا لأول مرة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي إذ نعت بها جابر بن حيان وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة له في الزهد مذهب خاص أما صيغة الصوفية التي ظهرت عام ١٩٩هـ/٨١٤م في خبر فتنة الإسكندرية[٢] فكانت فيما يراه المحاسبي والجاحظ [٣]تدل علي مذهب من مذاهب التصوف يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة وكان عبدك الصوفي آخر أئمته وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين ولا يأكل اللحم وتوفي ببغداد حوالي ٢١٠هـ/٨٢٥م [٤]

(١) سفيان الثوري هو سفيان بن سعيد الثوري من أوائل صوفية الكوفة عاش حياة التقشف وكان له مدرسة في الزهد وعرف بانقطاعه عن الدنيا لطلب العلم ساحاته في الأرض على طريق الصوفية ولقب سفيان الثوري بأمير المؤمنين في الحديث لدرايته الواسعة بالحديث النبوي الشريف وقد عاش الثوري ما يقرب من ٦٢ عاما قضاها في السياحة وطلب العلم حتى توفي سنة ١٦١هـ بالبصرة

(٢) انظر كتاب قضاة مصر للكندي: طبعة غست، بيروت،١٩٠٨: ص ١٦٢ – انظر أيضا كتاب ابو الفرج بن الجوزي والتصوف السني الخلاف بين الفقه والتصوف في القرن السادس الهجري ص٧دار المشرق بيروت طبعة أولى ٢٠٠٧ الدكتورة مؤمنة بشير العوف

(٣) الجاحظ، البيان والتبيان:١/١٩٤

(٤) انظر: كتاب أبو الفرج بن الجوزي والتصوف السني الخلاف بين الفقه والتصوف في القرن السادس الدكتورة مؤمنة بشير العوف دار المشرق ص٧

ويذهب أبو نصر [١] في تحديد تاريخ نشوء اللفظة (صوفي) إلى عهد الصحابة فبعد أن ينكر أن تكون اللفظة محدثة، أحدثها البغداديون يقول إنه في وقت الحسن البصري [٢] (المتوفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م) كان يعرف هذا الاسم وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب سول الله -ﷺ-. وقد روي عنه أنه قال: "رأيت صوفيًا في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال معي أربع دوانق فيكفيني ما معي.[٣]

وقد ذكر الإمام السهرودي[٤] في كتابه عوارف المعارف قائلا:

"إن هذا الاسم (يعني التصوف) لم يعرف قبل المأتيين من الهجرة إلا أنه في زمن رسول الله -ﷺ- كان أصحاب رسول الله -ﷺ- يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبته للنبي، إذ لا أفضلية فوقها، ثم بعد عهد النبي، وانقطع الوحي من أخذ منهم العلم سمي تابعيا ،ثم لما تقادم زمن الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي واختلفت الآراء وتنوعت وتزعزعت أبنية المتقين، واضطربت عزائم الزاهدين وتزخرفت الدنيا، زهدوا في الدنيا واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخري، أسوة بأهل الصفة متبتلين إلى رب الأرباب فاثمر لهم صالح الأعمال وسني الأحوال وتهيأ لهم صفاء الفهم لقبول العلم فصار لهم بمقتضي ذلك علوم يعرفونها بينهم وإشارات تعاهدونها وتعرف عن أحوال يجدونها. فأخذ ذلك الخلف عن السلف فظهر هذا الاسم بينهم، وتسموا به فالاسم سمتهم، والعلم بالله صفتهم، والعبادة حليفهم والتقوي شعارهم "

---

(١) سبقت ترجمته ص

(٢) سبقت ترجمته ص:

(٣) ابو النصر السراج، اللمع ص ٤٢-٤٣ انظر: كتاب أبو الفرج بن الجوزي والتصوف السني الخلاف بين الفقه والتصوف في القرن السادس الدكتورة مؤمنة بشير العوف دار المشرق ص٧

-(٤)الإمام العارف شهاب الدين ابي حفص عمر السهروردي ولد سنة٥٣٩ هجريا وتوفي سنة٦٣٢هجريا انظر كتاب عوارف المعرف وكتاب التصوف علم واتباع والرد علي من اتهموا رجاله بالابتداع بقلم عبد الاله الزهراوي الحامدي الشاذلي ص ٦ الطبعة الأولي يناير ٢٠١٣

ويري ابن خلدون[1]: أن نشأة التصوف كانت في القرن الثاني الهجري عندما أقبل الناس علي الدنيا، وانصرف أناس للزهد و العبادة فسموا بالصوفية.

ويري ابن الجوزي[2] أن نشأة التصوف كانت بعد عهد الرسول -ﷺ- وقد ذكر في

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص٤٦٧

ابن خلدون هو-عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي الاشبيلي الأصل التونسي قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد المعروف بابن خلدون نزيل القاهرة وقاضي المالكية بها. وذكر أنه سمع بعض "صحيح البخاري" على أبي البركات البلقيني والموطأ على ابن عبد السلام و"صحيح مسلم" على الوادي آشي والقراءات على أبي عبد الله بن نزال. وكان بارعا في الأصول وغيره أديبا ولي قضاء الديار المصرية غير مرة في دولة الملك الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج. ومات في رمضان سنة ثمان وثمانمائة بالقاهرة ومولده في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة غرة شهر رمضان منها بتونس. أجاز للقاضي ابن حجر والشيخ أبي الفتح بن أبي بكر بن الحسين المراغي انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤, النجوم الزاهرة ١٥٥/١٣, شذرات الذهب ٧٦/٧, الدليل الشافي ٤٠٣/١, البدر الطالع ٣٣٧/١

(٢) ابن الجوزي هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولد سنة٥٠٨هجريا/١١١٤م فهو عربي قرشي تيمي وجعفر الوارد في ابائه هو الذي لقب بالجوزي نسبة (مشرعة الجوزة) وهي مرفأ نهر البصرة أو الجوزة كانت بوسط داره ب(واسط) لم يكن بالبلدة غيرها وتوارث أولاده اللقب.توفي عام ٥٩٧هجري /١٢٠١م مات ابوه عنه وهو صغير له ثلاثة سنين فناله من ميراثه عشرون دينارا وداران لم يملك من الميراث غيرهما ويروي ان امه اهملته فرعته عمته حتي إذا أدركه الحياة أخذته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ ببغداد فعني به وحفظ علي يديه القرآن الكريم وسمع من الحديث الشريف ولازمه نحو ثلاثين سنة وقال عنه لم استفد من أحد استفادتي منه.اهم شيوخه ابو الفضل محمد بن ناصر خاله وأول معلميه ،وابو منصور الجواليقي الذي علمه الادب واللغة العربية، ابن الحريري الذي اسمعه الحديث ابو منصور بن خيرون الذي علمه القراءات ومن مؤلفاته التاريخ والمواعظ وروح الارواح المغني في التفسير

كتابه تلبيس ابليس أن الانتساب في عهد الرسول -ﷺ- إلى الإيمان والإسلام فيقال مؤمن ومسلم، ثم حدث اسم عابد وزاهد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة ،واتخذوا في طريقة تفردوا به، وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له:صوفة واسمه الغوث بن مر، فانتسبوا اليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى، فسموا بالصوفية.

أنبأنا محمد بن ناصر عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الحبال قال: قال أبو محمد عبد الغني بن سعد الحافظ: سألت وليد بن القاسم إلى أي شيء ينسب الصوفي؟ فقال: كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية، قال عبد الغني: فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر ابن أخي تميم بن مر.[1]

ويري الامام الغزالي[2] في كتابه المنقذ من الضلال أن التصوف باعتباره فكرة،

(١) انظرص١٨٠ كتاب تلبيس إبليس للإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي تحقيق خالد بن محمد بن عثمان قدم له علي عبد العال الطهطاوي مكتبة الصفا الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢)الإمام الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي الشيخ الإمام صاحب التصانيف والذكاء، لازم إمام الحرمين فبرع في الفقه في مدة قريبة ومهر في الكلام والجدل، التصوف وصنف فيه أغلب تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع وساءت به الظنون حتى أمر سلطان المغرب ابن تاشفين بحرق كتبه بفتوى الفقهاء. كان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه وساد في شبيبته حتى إنه درس بالنظامية ببغداد في سنة أربع وثمانين وله أربع وثلاثون سنة فحضر عنده رؤوس العلماء فتعجبوا من فصاحته واطلاعه. رحل إلى دمشق وبيت المقدس مدة ثم إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ثم عاد إلى طوس فأقام بها وابتنى رباطا واتخذ دارا حسنة وغرس فيها بستانا أنيقا ورجع عما كان فيه من الكلام والفلسفة والتصوف وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح، حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة. انظر موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ج ٦ص٤٠٤

وباعتباره حالة، نشأ مع الإنسان [١]

ويري الامام القشيري [٢])أن التصوف نشأ قبل القرن الثاني من الهجرة فيقول اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المأتيين من الهجرة [٣]

ويعلق الدكتور أبو العلا عفيفي علي دعوي (اسين بلاسيوس) بإرجاع روحية الغزإلى (تصوفه) بل روحية الإسلام كله "إلى مصادر أجنبية غير إسلامية أخصها المصدر المسيحي بقوله: "ويظهر أنه في هذه الدعوي الأخيرة يصدر عن عقيدة وخطة موضوعة، أكثر من صدوره عن منطق البحث العلمي وحده "[٤])

(١) انظر كتاب المنقذ من الضلال للإمام ابي حامد الغزإلى قضية التصوف للدكتور عبد الحليم محمود

(٢) الإمام القشيري هو الإمام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي ولد سنة ٣٧٦هجريا-في شهر ربيع الأول في بلدة "إستوا" وكان سكانها من العرب الذين قدموا إلى خراسان وهو عربي من قبيلة "قشير بن كعب " توفي ابوه وهو صغير فربي يتيما ولكن النجابة ظهرت فيه من صغره فتثقف بالآدب والعربية ولكنه لم يعلم الحساب فذهب إلى نيسابور ليتعلم طرفا من الحساب حتي يتمكن من ادارة قرية له باستوا وكانت فطرت القشيري النقية علي استعداد لكي يسلك الطريق فكان يحضر درس ابي علي الدقاق فيري إخلاصا ويري تقوي فتتلمذ علي يديه حتي قربه منه وزوجه ابنته مع كثرة أقاربها وانتهي الامر بالقشيري إلى ان اصبح كما يقول عنه الإمام عبد الغفار "الإمام مطلقا، الفقيه، الأصولي، المفسر، الاديب، النحوي، الكاتب الشاع، لسان عصره وسيد وقته وسر الله بين خلقه مدار الحقيقة وعين السعادة، وقطب السيادة، من جمع بين الشريعة والحقيقة كان يعرف الأصول علي مذهب الأشعري ويعرف الفروع علي مذهب الإمام الشافعي" له مؤلفات عدة منها الرسالة القشيرية ولطائف الأشارات وله كتاب الفتوي وغيرهم توفي رحمه الله سنة ٤٦٥هجريا

(٣) انظر الرسالة القشيرية ج١ ص٥٣ تحقيق ا لدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود الشريف أيضا انظر كتاب جمهرة الأولياء للمتوفي الحسيني ج١ص٣٦٩طبعة مؤسسة الحلبي القاهرة

(٤) انظر التصوف الإسلامي وتاريخه للدكتور أبو العلا عفيفي المقدمة

انظر ايضا

=

ويقول الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي في كتابه الاتجاهات الحديثة ،لقد اصبح رد التصوف إلى مصادر أجنبية عن الإسلام في أوساط المستشرقين في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تيارا عاما طاغيا ،وموجة كاسحة يصعب علي أحد المستشرقين بل يستحيل عليه أن يقاومه أو أن يسبح ضده ثم تغير الحال من النقيض إلى النقيض مع بلوغ هذا القرن الأخير إلى منتصفه ،حيث يذهب اليوم أكثر المستشرقين وسوادهم الأعظم إلى القول: بأن التصوف إسلامي شكلا ومضمونا كليا وجزئيا، وأنه انبثق من تعليم القرآن الكريم والسنة المطهرة، حتي إنك لتجدهم يفسرون ويتأولون بعض الآراء الصوفية التي يراها الباحثون المسلمون أنفسهم غريبة عن الإسلام وغالية أو ضالة ليجدوا لها سندا من الكتاب العزيز أو السنة المطهرة أو سير الصحابة رضوان الله عليهم، ليس ذلك فحسب، بل إنهم ذهبوا يعترفون بتأثير التصوف الإسلامي – بعد أن أقروا بأصالته علي التصوف الهندي واليهودي والمسيحي[١]

وخلاصة القول في نشأة التصوف:

أري أنه لا بد أن نفرق بين النشأة كسلوك ومن حيث النشأة كمنهج إن التصوف كسلوك في المأكل والمشرب والتفاعل مع الحياة نشأ بوجود الإنسان فقد أورد ابن كثير أن أول لباس لبسه آدم عليه السلام هو الصوف وكان أول كسوتهما من شعر الضأن: جزاه ثم غزلاه، فنسج آدم له جبة، ولحواء درعا وخمارا[٢]

ويقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود أن كلمة تصوف وضعت في المبدأ لتدل علي نمط من العزوف عن الدنيا: وإنها كانت علامة للزاهدين والمتنسكين،

---

(٤) انظر كتاب (الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي مصادره وآثاره ص ١٥تحليل ونقد للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي الأستاذ بكلية دار العلوم دار الهاني للطباعة والنشر

(١) نفس المصدر ص١٦

-(٢)انظر قصص الانبياء للحافظ ابن كثير ج ١ ص٥٤ الكتاب: قصص الأنبياء المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد الناشر: دار الكتب الحديثة - الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

فسمي بها هؤلاء الذين انصرفوا عن الدنيا.

إن العزوف عن الدنيا: عادة قديمة جدا، يتمسك بها بعض الناس، تمشيا مع فكرة دينية وإرضاء لشعور تنسكي.

وسواء أكان العزوف عن الدنيا دينا أم كان منطقا فإنه موجود منذ أقدم العصور فالدين صاحب الدنيا منذ نشأة الإنسان فيها.

والمنطق صاحب الإنسان منذ وجوده، ولقد رأي هؤلاء الزهاد –من ناحية الملبس –في الصوف: ما يحقق أهدافهم التي تتصل بالتقشف، والشظف والخشونة، فهو متين رخيص خشن لا يحتاج، الإنسان معه في الشتاء إلى غيره ولا يحتاج إلى تغييره كثيرا، ذلك أنه لا يبلي بسرعة فتصوفوا. اي لبسوا الصوف.....(١))

أما نشأة التصوف كمنهج فإني أري:

أن زمن رسول الله -ﷺ- مضي وكذلك زمن الصحابة لهم بإحسان، ولم يعرف عنهم أي منهج يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلى ذلك، ومع اتساع الرقعة الإسلامية وزيادة عدد المسلمين انقسم المسلمون إلى فرق وذهب كل فريق يعبد ربه بحسب فهمه للكتاب والسنة وبحسب ما يتراء له انه صواب وكان من هذه الفرق من يسموا بـ (الصوفية)

وقد أخذ كل فريق من هؤلاء يعبر عن التصوف حسب ما يراه، ويطول سرد تلك المفاهيم والتعبيرات والأقوال التي صدرت عن أقطاب هؤلاء؛ كالجريري والجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، ومحمد بن علي القصاب، ومعروف الكرخي، والسهر وردي، والشبلي، والشاذلي، والتجاني، والبسطامي، وابن عربي، وابن الفارض، وغيرهم.

وكثرت الطرق التي انتسبت إلى التصوف الإسلامي وتشعبت وأصبح منهم من يقتفي آثر النبي -ﷺ- في أقواله وأفعاله وكذلك منهم من أدخل البدع والخرافات

(١) انظر كتاب (قضية التصوف المنقذ من الضلال للإمام ابي حامد الغزالى) لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود الطبعة الثانية ٢٠١٥م دار التوفيقية ص٢٦،٢٧وما بعدهم

والأكاذيب ولذلك نجد أن الناس يختلفون في نظرتهم إلى أهل التصوف.

طائفة من الناس نظرت إلى مساوئ القوم وأغمضت العيون عن محاسنها فقالوا بضلال الصوفية وردوا كلامهم سواءً ما وافق الكتاب والسنة أو خالفهما وهذه الطائفة كما يقول ابن القيم حجبت عن محاسن هذه الطائفة لطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساءوا الظن بهم.

وطائفة أخرى نظرت إلى محاسن القوم وصدق معاملتهم وشفافية نفوسهم وحسن عبادتهم فأقبلت على علوم الصوفية وكتبهم وقصائدهم وقصصهم دون تمحيص مغمضة العيون عن عيوب القوم ومساوئهم، وهؤلاء كما يقول ابن القيم (حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم عن رؤية شطحاتهم).

وطائفة ثالثة وهم كما يسميهم ابن القيم أهل العدل والإنصاف الذين يقبلون من القوم ما يجدونه حسناً موافقاً للكتاب والسنة ويردون ما خالف الكتاب والسنة ويردون على شطحات القوم، وهذا الموقف هو الذي يجب أن يقفه كل مسلم فلا تحملنا حسنات القوم على قبول خطئهم وتحسينه. كما يجب أن لا تحملنا سيئات القوم على رد حق ذهبوا إليه أو قالوا به، بل الحكم العدل الذي بيننا هو الكتاب والسنة(فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ)[1]،(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[2]

وعلى هذا فإننا نجد أن التصوف من حيث السلوك كان منذ وجود الإنسان ومن حيث المنهج كان بعد عهد النبي -ﷺ- وعهد الصحابة رضوان الله عليهم جميعا.

(١) سورة النساء:٥٩

(٢) سورة المائدة:٨

المبحث الثالث
نشأة الطرق الصوفية

قبل الحديث عن نشأة الطرق وبدايتها نود أن نعرف الطريقة من حيث اللغة والاصطلاح ثم بعد ذلك نبين متى نشأة الطرق الصوفية.

المطلب الأول:
تعريف الطريقة في اللغة

الطريقة في اللغة: تطلق على السيرة، والمذهب، والحال [١] وهي مفرد لكلمة طرق وكلمة طريق لها عدة معاني فقد تكون الشارع أو السبيل. وهي نوعان جانب مادي ملموس الا وهو الشارع وجانب أخر محسوس الا وهو السبيل أي الهداية. والطريق هي السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب وعنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان. وأما الطريقة عند السادة الصوفية هي السيرة المختصة بالمتصوفة السالكين إلى الله تعالى فهي سفر إلى الله تعالى " والسالك أو المريد هو المسافر، فعلي المسافر أن يسلك طريق القوم وأن يجتازها مرحلة بعد مرحلة أما من أدركته عناية الله فجذبته العناية إلى الله جذبا فهذا ما يسمونه المجذوب الذي طويت له الطريق طيا في سفر خاطف بفضل الله ومنه" [٢]

المطلب الثاني:
الطريقة في الاصطلاح

والطريقة عند أهل الحقيقة: عبارة عن أوامر الله تعالى وأحكامه التكليفية التي لا رخصة فيها، وهي المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي والمقامات. [٣]

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج١٠ ص٢٢١ مادة طرق.

(٢) كتاب الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وأورادها "الرفاعي – الجيلاني- البدوي- الشاذلي – الدسوقي "للدكتور عامر النجار ص١٥ الطبعة الخامسة دار المعارف، وكذلك كتاب التعريفات للجرجاني ص١٤١

(٣) أنظر كتاب ظهور الحقائق في بيان الطرائق للسيد عبد الله بن علوي بن حسن العطاس ص ١٧ الطبعة الخامسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٨٨٧

ولقد ذكر الله عزوجل في كتابه لفظ الطريق في عدة مواضع من القرآن فتارة تأتي كناية عن الدين كما ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى (إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)[١]) أي دين الإسلام وملة الكفر.

وقد تأتي كلمة طريق لتدل علي الشبيه والنظير فقد ذكر الطبري أيضا في تفسير كلمة طريق في قوله تعالى (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)[٢] أي يغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه[٣] وقد تأتي الطريق بمعني الأذكى والأعقل كما في قوله تعالى (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا)[٤] أي يقول أعقلهم واذكاهم وأوفاهم، وكذلك يأتي معني الطريق ليدل علي حال الإنسان من الصلاح والفلاح والإيمان أو الكفر والضلال والبعد عن منهج الله كما في قوله تعالى (قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ)[٥] وقد يأتي لفظ الطريق ليدل علي الأهواء المختلفة والأحوال المتغيرة والإختلاف في الفكر والمعتقد كما في قوله تعالى (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا)[٦]

وإذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم فإننا نجده يتكلم عن أحوال وصفات أهل

(١) سوة النساء الآية ١٦٨

(٢)سورة طه الآية ٦٣

(٣) انظر تفسير الطبري لسورة طه الآية ٦٣.

(٤) سورة طه ١٠٤

(٥) سورة الأحقاف ٣٠

(٦) سورة الجن الاية ١١

التصوف وأهل الطرق الحق فقد ذكر الله "الذكر، والفكر، والذاكرين، والمستغفرين، والعابدين، وأولي الالباب...) وذكر الكثير من المقامات كمقام (الحب، والتوكل، والتوحيد، والإيمان، والرضا، والحق، والاستقامة، والخوف، والرجاء) وحينما انتشرت هذه الطرق في القرون المتأخرة اتخذ أهل التصوف هذه المقامات كمنهج متبع، وصفات تقمسوها، وسلوك طبقوه.

-والطريق عهد بين المريد والشيخ علي أن يتوب عن المعاصي أبدا وألا يرتكب صغيرة أو كبيرة وأن يكون طاهر الجسد والروح معا وأن يقيم شعائر الله وسنن رسوله وأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وأن يذكر الله كثيرا ويتوب إليه(١)

وقيل إن الطريق الصوفي أو الطريقة: طلب السير على شريعة الله ومنهاجه، والأخذ بسنة رسول الله صل الله عليه وسلم وما جاء به من هدي ونور. (٢)

-وهناك مصطلحات أخري للطريق أو الطريقة.

فقد تعني منهج التزكية المرتبطة بشيخ من الشيوخ الخِرق، كما يقال: أصول الشاذلية كيت وكيت، وأصول النقشبندية هي الكلمات الإحدى عشرة التي عليها مدد السلوك.

وهناك معنى أخر: فقد تعني الجماعة المنتسبة لقطب من الأقطاب كالشاذلية والبرهانية والأحمدية والنقشبندية، أو لمعلم تربوي، كالخلوتية نسبة إلى الخلوة.

وقد تكون بمعني الوجه الخاص الذي يسلك منه كل سالك إلى الله تعإلى "إذن له" كما يقول الشيخ زروق "نسبة ربانية في وجوده هي كماله اللائق به.... وقد قال بعض المشايخ: إياك وطلب الدليل من خارج، فتفتقر إلى المعارج، واطلب الحق من ذاتك لذاتك، تجد الحق أقرب إليك من ذاتك".(٣)

---

(١) كتاب الطريقة الصوفية...ص٩ مرجع سابق.

(٢) المذكرة الذهبية في الطريقة النقشبندية, عباس حسين بصري ص١١ مكتبة إبراهيم غنيمي سنة ١٩٩٦م.

(٣) اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية علي جملة الطريقة الصوفية تحقيق د/ محمد عبد =

وقيل إن الطريق تعني علم التصوف والسلوك، إذ سمي ابن البنا السرقسطي منظومته المشهورة: المباحث الأصلية على جملة الطريقة الصوفية"[١]

-تحدثنا عن الطريقة من حيث اللغة والاصطلاح، ولكن هناك شيء أخر قد يغيب عن الكثير من الناس، وربما الكثير من المريدين لا ينتبهوا له، ألا وهو المشرب. فنجد للطريق أو الطريقة عدة تعريفات ورغم ذلك فإن هناك من لا يفرق بين الطريقة والمشرب، فالطريقة:" هي المنهج الأصلي الذي يسلك منه السالك وإليها تكون نسبته الأولية، ومع مشايخها تكون رابطته الروحية بالأساس والأولوية ".وأما المشرب فهو ما يرد للسالك بعد ذلك من مدد وتخصيص بطريقة أو طرائق أخري ولذلك فقد تجد الشيخ ينتمي إلى طريقة معينة لكن المشرب يختلف فمثلا الشيخ عبدالغني النابلسي كان نقشبندي الطريقة قادري المشرب ووضع كتابه الفريد "مفتاح المعية "وشرح صلوات الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتاب "كوكب المباني "وكان الشيخ أحمد حجاب المتوفي ١٣٩٩هـ شاذليا ولكن المدد الأحمدي لحقه حتي عرف بسيدي أحمد البدوي أكثر مما عرف بالشاذلية..[٢]

والشيخ أبى العزائم يقول عن نفسه أنه تلقى عن الكثير من السادة أقطاب الطرق ولم يكن مشربه من طريق واحد فيقول وقد أجازنى بطريقة السادة القادرية سيدي السائح الزاهد الصوفي بير محمد البخاري بمدينة المنيا سنة ١٣١٢هـ، وهو تلقاها عن شيخه السيد على القادري، عن أبيه وشيخه السيد إسماعيل عن أبيه وشيخه السيد عبد الوهاب، عن أبيه وشيخه السيد نور الدين..... إلى أن يصل إلى القطب والعارف بالله الشيخ معروف الكرخي عن شيخه أبى المحاسن على بن موسي الرضا قال: حدثنا الإمام موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر

=

القادر نصار صـ٧٢ دار الإحسان سنة ٢٠١٥.

(١) إتحاف الخلائق في تعدد المشارب والطرائق د/ محمد عبد القادر نصار صـ١٧-١٨ دار الإحسان سنة ٢٠١٨م

(٢) إتحاف الخلائق فى تعدد المشارب والطرائق صـ٢٠ بتصرف يسير مرجع سابق.

عن أبيه على زين العابدين عن أبيه سيد شباب أهل الجنة، وقرة أهل السنة الإمام الحسين عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه.قال: حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صل الله عليه وسلم قال:حدثنا جبرائيل عليه السلام،قال: سمعت رب العزة جل جلاله يقول: لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي.(١) وبالسند المتقدم إلى الشيخ معروف الكرخي عن شيخه داود الطائي عن شيخه حبيب العجمي عن شيخه الحسن البصري عن شيخه الإمام علي بن أبي طالب وتلقيت الطريقة النقشبندية من عدة فروع كلها ترجع إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي والطريقة التيجانية عن السيد مسعود الحسني الإدريسي الفاسي عن نجله الأستاذ رضي الله عنه فى أواخر سنة ١٣١٣هـ والطريقة الأحمدية عن الشيخ أحمد الضرير سنة ١٣١٢هـ..(٢)

وهذا يدل على أن الطرق الصوفية لها مبادئ واحد ومشربها واحد وإن تعددت الطرق وقد يتلقى الشيخ تعاليمه من شيوخ عدة.

المطلب الثالث
بداية نشأة الطرق الصوفية

من الواضح ومن خلال البحث فى ثنايا كتب التصوف سواء المؤيدة للتصوف أو المخالفة يتضح أن بداية الطرق الصوفية لم تكن في عهد النبي -ﷺ- ولا حتي في القرون الأولي بعد وفاة النبي عليه السلام وقد بينت في المبحث السابق أن التصوف من حيث المنهج بدايته كانت فى القرن الثاني من هجرة المصطفي عليه السلام وما بعده وذلك استمرارا لحركة الزهد والتقشف ولو نظرنا إلى المقصد من الطريقة فيما بعد القرن الثاني الهجري نجدها عبارة عن الآداب والأخلاق العقائدية التي يتمسك بها

(١) الحلية لابن نعيم (١٩١/٣-١٩٢) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٦٦/٤٨) وقال العراقي فى تخريج الإحياء (١٦٧/١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي بإسناد ضعيف جدا.

(٢) انظر كتاب خاتم الوراث المحمدي للشيخ السيد محمد ماضي أبو العزائم اعتنى بطباعته السيد علاء أبو العزائم صـ٦٩-٧١ دار الكتاب الصوفي الطبعة الأولي سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م..

طائفة الصوفية ويذكر القشيري أن كلمة طريق تعني منهج الارشاد النفسي والخلقي الذي يربي به الشيخ مريده ويذكر لناعن أبي علي الدقاق قوله " الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسها فهو عابد هواه لا يجد نفاذا[١]

ومن الواضح من خلال سرد الآراء في معني الطريق يتضح لنا أن هذا اللفظ الذي يعني السبيل قد أخذ معنيين اصطلاحيين متعاقبين في التصوف الإسلامي، فهو في القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين عبارة عن منهج النفس الأخلاقي يدبر عمليا ضروب السلوك الفردي وهو بعد القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري قد أصبح عبارة عن جملة مراسم التدبير الروحي المعمول به من أجل المعاشرة في الجماعات الإخوانية الإسلامية المختلفة التي بدأت تنشأ منذ ذلك الحين وانتهت الطريقة إلى أن أصبحت تدل علي المعاشرة القائمة علي الرعاية الإسلامية العادية، وعلي سلسلة من الوصايا الخاصة، لكي يصبح الإنسان مريدا ويتلقى المريد البيعة أو الشد أمام طائفة من الشهود ذوي المراتب من شيخ السجادة والمرشد والمقدم والنقيب والخليفة.[٢]) وهذا يدعونا إلى النظر في حال أهل التصوف في الوقت الحإلى وما يحدث من بعض المريدين من أفعال وأقوال ظاهرها يخالف العقيدة الصحيحة والدين القويم وهذا يعطينا انطباعا أن هذا أمر مستحدث ولم يكن في القرون الأولي من نشأة الطرق الصوفية ولكن بالبحث في كتب التصوف وبالأخص المصادر والمراجع القديمة نجد أن علماء التصوف الحق نقدوا كل ما يرونه يخالف الدين والشريعة من أقوال وأفعال ومن هؤلاء العلماء الإمام الطوسي الذي قام بتحليل الأسباب التي جعلت بعض الطرق وبعض أهل التصوف يدخلون أشياء ظاهرها يخالف الدين والشريعة الغراء، إنه نظر إلى الفرق التي غلطت فوجدها ثلاثة طبقات:

---

(١) كتاب ظهور الحقائق ص١٨ مرجع سابق.

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة طرق صوفية صـ١٧٢,١٧٣ لويس ماسنيون وكتاب الطرائق ص١٧ مرجع سابق.

ا- طبقة أخطأت في الأصول لعدم دراستهم أحكام الشريعة وأصولها الغراء وصاروا يهرفون بما لا يعرفون وأخذوا يدخلون في طرقهم ما لا يستقيم مع النهج القويم.

ب-أما الطبقة الثانية هم الذين أخطئوا في فروع التصوف وهي الآداب والأخلاق والمقامات، والأحوال، والأفعال، والأقوال، والسبب في ذلك راجع إلى متابعتهم لحظوظ النفس، ومزاج الطبع لأنهم لم يدنوا ممن يرضوهم، ويجرهم المرارات، ويؤمنهم علي المنهج الذي يؤديهم إلى مطلبهم.

ج-الطبقة الثالثة: فكان غلطهم فيما غلطوا فيه زلة, وهفوة, لا علة وجفوة , فإذا تبين ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق, ومعإلى الأمور فسدوا الخلل, وأذعنوا للحق, واقروا بالعجز فعادوا إلى الأحوال الرضية.[1] هؤلاء هم أهل التصوف الحق وأتباع الطرق الصحيحة والحقيقية، وليس أهل البدع، والخروقات، والمتواكلين وليس لهم عمل إلا لبس السلاسل والمسابح ولا يعرفون من التصوف إلا المظهر وإن كان التصوف في الحقيقة لا يدعو إلى مثل هذه التصرفات بل يدعو إلى الاهتمام بالنفس ظاهريا وداخليا. لذلك نجد بعض الطوائف من هاجم أهل التصوف وأهل الطرق حتي وإن كان علي حق لأنهم نظروا إلى القشور وتركوا اللب, نظروا إلى ما يفعله بعض الجهلة من المريدين والمتكسبين من الانتساب للطرق من أمور لا يرضى عنها الإسلام ولا يضر التصوف ظهور هذه الفئة من المتواكلين والدجالين والمشعوذين والبلهاء الذين يتكسبون من وراء لبس الخرق والهلاهيل، والانتساب للطرق، فليس ذكر الله بهذه الصورة البشعة التي يذكر بها الدراويش والمجذوبون من الطريق في شيء، وليس من التصوف ولا من الطريق إقامة هذه الأضرحة العظيمة لشيوخ الطرق وتقديس مريديهم لها وتوسلهم بهذه الأجساد الطاهرة، الراقدة تحت الثري، أما الطريق ففكرته طيبة وضيئة.[2] لها ضوابطها وأصولها التي بنيت عليه من مقامات وأوراد ومناصب داخل

(١) اللمع بتصرف من الباحث صـ٥١٨ انظر كتاب الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها- الرفاعي- الجيلاني- البدوي- الشاذلي – الدسوقي – عامر النجار صـ١١ بتصرف دار المعارف الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٨م.

(٢) الطرق الصوفية مرجع سابق.

الطريق، ولا يرتقي المريد من درجة إلى درجة أعلي منها الا إذا كان علي قدر من المسئولية، وهناك من المراتب التي علي المريد ان يجتازها، لذلك يقول د/ عامر النجار نقلا عن الكمشخري ولا يضع السالك قدمه في ثان، ولا يدخل في واحدة حتي يعمل ما قبلها وهي مرتبة التوبة، ومرتبة الاستقامة، ومرتبة التهذيب، ومرتبة التقريب أما الأولي فإن التوبة أصل كل مقام وحال وأول المقامات وهي بمثابة الأرض للبناء فمن لا توبة له لا حال ولا مقام له وأما الثانية فهي مرتبة الاستقامة علي الطاعة واجتناب المخالفات وإقامة الأوراد من جميع الطاعات والدعاء في جميع الحالات واتباع المراد وإيثار السداد والثالثة التهذيب وله أربعة أركان الصمت والعزلة والصوم والسهر وكل واحد منها يدفع عدوا فالشيطان سلاحه الشبع وسجنه الجوع، والهوي سلاحه الكلام وسجنه الصمت، والدنيا سلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة والنفس سلاحها النوم وسجنها السهر[١]

ونجد من العلماء الكبار من لهم باع في التصوف والكتابة في تاريخ التصوف يؤيد أن بداية الطرق الصوفية من بعد القرن الثاني الهجري، ومنهم الدكتور أبو الوفا التفتازاني. لذلك يقول: "كانت الطرق الصوفية في نشأتها الأولي في القرنين الثالث والرابع الهجريين تدل علي أحوال الصوفية وسلوكهم، ثم أصبحت تدل فيما بعد خصوصا في القرنين السادس والسابع الهجرين على نظام من الرياضيات الصوفية تمتاز به كل طريق، وأصبحت لفظة طريقة عند الصوفية المتأخرين تطلق علي مجموعة أفراد من الصوفية، وينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيي حياة جماعية في الزوايا والربط والخانقاوات أو يجتمعون اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام "[٢]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الدعوة الصحيحة للتصوف والطرق الصوفية الحق، و التي تبرز لنا دور الشيخ في تقويم المريد ودعوته للإصلاح من ذاته وتحفيزه

(١) وينقل لنا الدكتور عامر النجار في كتابه الطرق الصوفية عن في كتابه جامع الأصول أن مراتب الطريق أربعة الطرق ص١٩

(٢) مدخل إلى التصوف مرجع سابق ص٦١

للحفاظ علي نفسه من الوقوع في المعاصي، و أن تري إنسانا تائبا طهورا يقيم شعائر الإسلام ولا يكذب أبدا، فماذا لو رأيت إنسانا يطبق ما يدعو إليه شيخه وهو التوبة، والعمل، بالكتاب وبالسنة، إنك إذا وجدته تراه من أكرم الناس في الأخلاق وفي العشرة وتري الأدب منه يفيض علي لسانه وجوارحه، وحركاته وسكناته فيصون أدبه عن مظان السوء وسواقط الأخلاق وتافه الأعمال إنك إذا وجدته تري الظاهر منه كالباطن فنفسه في صفاء وقلبه في نقاء، وقلبه صادق، وأعماله خالصة من إرادات النفس ومن شوائب الحظوظ يخفض الجناح ويسهل الصعب ويهون الشدائد(١)

وإذا كان بعض ما نراه اليوم من بعض المنتسبين للطريق ظلما وبهتانا يحسب علي الطريق، فالحق أننا لا نكون منصفين إذا حسبنا مثل هؤلاء البلهاء ذوي الأثمال البالية من الطريق أو علي الطريق ذلك أن الصوفي الحق والمريد الصادق إذا رأيته تراه في صبر وعلي يقين، فلا يستنفذه المبطلون ولا يستخفه الذين لا يوقنون فهو مع الله بلا خلق ومع الخلق بلا نفس ولا ينتظر من الخلق حمدا باللسان ولا منزلة في القلب، ولا يبتغي من أحد جزاء ولا شكورا ولا منزلة ولا جاها فكل الخلق في نظره هم وأصحاب القبور سواء لا يملكون ولا يقدرون(٢)

- بداية الطرق الصوفية في مصر-

أولا: بعتبار أن دولتى مصر والسودان كانتا دولة واحدة وتحت حكم واحد ولم ينفصلا إلا قريبا نود أن نعطى نبذة بسيطة عن التصوف فى السودان.

لم تكن السودان دولة مستقلة فى بدايتها كيومنا هذا بل لم تكن تسمى بالسودان أصلا ولكن كانت فى فترة من الفترات تسمى " كوشي" وفى فترة أخرى اسمها "أثيوبيا" لكن عندما توسع العرب وانتشرت القبائل العربية فى افريقيا أطلق العرب هذا الاسم على الممالك الإفريقية الإسلامية الواقعة في المناطق التي تقع إلى جنوب من الصحراء

(١) انظر كتاب العبودية للأستاذ محمد مصطفي عبد الرحمن صـ٣٨ مرجع سابق والطرق الصوفية صـ١٠ مرجع سابق.

(٢) كتاب الصوفية صـ١٠ مرجع سابق.

الكبرى[1]) و بعد أن فتح المسلمون مصر بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص سنة ٢٠-٢١هـ ٦٤٠-٦٤١م بدأ دخول الإسلام في السودان عقب المعاهدات التي وقعها عبدالله بن أبى السرح مع ممالك النوبة المسيحية التي عرفت باتفاقية " البط" أو "كتاب البط" وهو أشبه ما يكون باتفاق حسن الجوار، وعدم الاعتداء، وبذلك أراد عبدالله ابن أبي السرح تأمين حدود مصر الجنوبية بعد أن أصبحت تابعة للدولة الإسلامية، وتضمنت هذه الاتفاقية أن سمح ملك النوبة ببناء مسجد فى المنطقة يشرف على نظافته وتكريمه ولا يمنع عنه المصليين، إضافة إلى دفع جزية سنوية من رقيق النوبة إلى المسلمين وأن يدخل رعايا كل طرف بلد الأخر، وترتب على ذلك نوع من التعايش السلمى بين العرب والنوبة بل بدأ التزاوج بينهم وبين النوبة، وتوغل العرب إلى داخل البلاد بحثا عن المراعي ومناطق الزراعة، وازداد عددهم وتمازجهم من النوبة، وقد وجدت الطرق الصوفية رواجا في البيئات والمجتمعات البسيطة، حيث تكون فطرة خالية من الانغماس في الحياة المادية بكل ضروبها، ومن هنا وجدت بين المجتمعات الأفريقية رواجا منقطع النظير، حيث وجد المريدون فى شيخ الطريقة إماما مزودا بقوى علوية تفرد بالكرامات ومعرفة الأسرار، ويعود دخول الطرق الصوفية فى السودان إلى القرنيين السادس والسابع الهجريين والثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وتُعَد الطريقة القادرية هي من أقدم الطرق التي دخلت السودان ويليها الطريقة الشاذلية.

حيث يبلغ عدد الطرق الصوفية فى السودان قرابة أربعين طريقة أساسية وفرعية أشهرها الطريقة القادرية[2] وفروعها, والطريقة السمانية[1], والطريقة

(١) تاريخ العلاقات السودانية – التشادية أحمد سمى ص٣ رسالة ماجستير جامعة الخرطوم سنة ١٩٩٧.

(٢) الطريقة القادرية: تعرف الطريقة القادرية بالبكائية نسبة إلى ابن الشيخ محمد المعروف بأحمد البكاي (توفي سنة ٩١٠هـ -١٥٠٤م) وانتشرت في حوض النيجر وبلاد الهوسا وقامت في تلك المناطق بعض المراكز لنشر الطريقة القادرية ويعد السبب في انتشار هذه الطريقة في السودان هو تاج الدين البهاري (توفي سنة ٩٨٥هـ -١٤٧٧م) الذي وفد من العراق انظر انظر أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، خالد مصطفى ص١٤٢ سنة ١٩٩٠ مكتبة القاهرة.

الرفاعية[٢] والطريقة الراشدية[٣] وغير هذه الطرق التي احتلت مكانة كبيرة عند أهل السودان بل وصل السادة الصوفية وأصحاب الطرق إلى ثقة قيادات الدولة، وكان لهم النفوذ مما جعل عامة الناس بل وخاصتهم يلجؤون إليهم في الكثير لقضاء حوائجهم، وتعد الطريقة الشاذلية من أهم الطرق الصوفية فى السودان من حيث العدد والتأثير والمكانة بين الناس والحكام ولقد مثلت الشاذلية فى السودان بعدد من الفروع المستقلة , لكل منها سند مميز وسلسلة، والعلاقة ضئيلة بين كل فرع والأخر ووفقا للطبقات فإنها أول طريقة دخلت السودان، وأدخلها شريف يدعىً حمد أبو دنانة استقر في غرب سقاديإلى الغرب من المحمية الجالية غربي شندي وعرف أبو دنانة بأنه، صهر أبى عبدالله حمد بن سليمان الجزولي، وهو داعية للجزولي-

وتعد الطريقة الشاذلية طريقة محلية حيث إنها توجد فى معظم أنحاء العالم ولقد انتشرت تعاليم هذه الطريقة فى أجزاء القارة الإفريقية وعلى وجه خاص فى السودان من خلال رحلات الحاج التي كانت تمر بهذه البلاد ومن الواضح أن الشاذلية

---

(١) هي من الطرق التي دخلت السودان عن طريق الشيخ أحمد الطيب بن البشير وانتشرت شمال أم درمان فى السودان سنة ١٨٠٠م ولقيت هذه الطريقة قبولا بين بعض القبائل في مناطق النيل الأبيض انظر أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، خالد مصطفى ص١٤٣ سنة ١٩٩٠ مكتبة القاهرة.

(٢) الطريقة الرفاعية وتنتسب إلى مؤسسها أبو العباس أحمد بن أبى الحسن الرفاعي توفي سنة (٥٨٧هـ -١١٨٢م) وكان أول ظهور فى العراق ثم دخلت مصر على يد أبو الفتح الواسطي عندما وفد إليها فى مستهل القرن السابع الهجري الثاني عشر الميلادي من العراق وأقام فى الإسكندرية وبشر بها وتعد الرفاعية فرع من الطريقة الشاذلية انظر الطرق الصوفية في نشاطها ونظمها وأورادها الرفاعي الجيلاني ص٦٨ مرجع سابق دار المعارف.

(٣) الطريقة الراشدية وهي فرع من الإدريسية ومؤسسها إبراهيم الراشد، وينتمي إلى عائلة أحد الراشدين توفى سنة ١٥٠٤م المؤسس الأصلي للطريقة فى الجزائر وانتشرت فى الهند وأرتيريا والصومال والحجاز والسودان انظر الثقافة الغربية في السودان من نشأتها إلى العصر الحديث عبد المجيد عابدين ص٦٧ دار الثقافة والنشر ١٩٥٣م الخرطوم.

وصلت قبل القادرية وكان انتشارها فى السودان صنيع عدد من الأفراد المستقلين [١]

المطلب الرابع
بداية الطرق الصوفية في مصر.

- يرى أهل العلم أن أول من غرس بذور التصوف في مصر " ذو النون المصري المتوفي سنة ٢٤٥هـ، و يعد أول من تكلم من الصوفية عموما في علوم المقامات والأحوال وشاركه في غرسها في القرن الثالث الهجري أيضا صوفيان أخران لهما مكانتهما وهما أبو بكر الدقاق الحسن بن بنان الحمال المتوفي سنة ٣٣٦هـ ،ومن أبرز رجالها أبو علي الروذباري المتوفي سنة ٣٣٢هـ وأبو الخير الأقطع التيناني المتوفي سنة ٣٤٣هـ وأبو القاسم الصامت المتوفي سنة ٤٢٧هـ[٢] والطرق الصوفية في مصر كثيرة ومتشعبة ومعظمها طرق معاصرة فالطرق القديمة قليلة منها الشاذلية والرفاعية والجيلية ولكل طريق أورادها وأذكارها وأما الطرق المعاصرة في مصر فهي كثيرة منها:

- الطريقة الشاذلية: ولها أوراد الشيخ عبد الفتاح القاضي

-الفاسية الشاذلية: الأحزاب والوظيفة والياقوتة وصلوات الفاسي.

-الحامدية الشاذلية: وأورادها الحامدية الشاذلية-الطريقة التيجانية، وأوراد التيجاني.

-الحقيقة المحمدية: نفحات في الصلاة علي الرسول الأعظم.

-الجعفرية الإدريسية: أحزاب وأوراد الكبير

-الطريقة الدسوقية: تائية إبراهيم الدسوقي.

-الخلوتية البكرية: مجموع صلوات وأوراد مصطفي البكري.

-دلائل الخير: مجموعة الأوراد الأحمدية

---

(١) انظر الطريقة الشاذلية فى السودان الشرقي – نهلة أحمد عبد الباقي بحث مقدم فى جريدة المعهد العالى للفكر الإسلامي صـ٤٠٥ سنة النشر٢٠١٤م الأردن.

(٢) بحث مقدم من أبو الوفا في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ٢٥ صـ ٦١ وكذلك كتاب الطرق صـ ٥٩ مرجع سابق.

-الطريقة الرفاعية: مجموع راتب الميرغني.

-صلوات الشيخ الأكبر: ابن عربي وتقرؤها عدة طرق صوفية.

-طريقة أبو العزم: نيل الخيرات بمداومة الأدعية والاستغثات.

وغير هذه الطرق ولكل طريقة منهج متبع ويذكر لنا التفتازاني أن المنهج المتبع في الانتساب إلى الطرق الصوفية في مصر على أربعة أقسام.

الأول: أخذ المصافحة والتلقين للذكر ولبس الخرقة والعذبة للتبرك أو للنسبة فقط.

ثانيها: أخذ رواية وهو قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها وهو يكون للتبرك أو للنسبة أيضا.

ثالثها: أخذ تدريب وتهذيب وترق في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء وهو المراد العزيز وجوده وعلى هذا المعول أكثر الطرق ويصبح الانتساب فيه أيضا.

رابعها: الاتباع والمشاركة ولو في شيء يسير مع المحبة لهم، كتلاوة حزب من أحزابهم ولذا قال الشاذلي من قرأ حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا" [1] ورغم أن المناهج كما ذكر التفتازاني على أربعة أقسام ويكاد يتفق عليها كل الطرق فى مصر إلا أن هناك أوجه اتفاق بين بعض الطرق من ناحية، وبعض نقاط الاختلاف من ناحية أخري، مما جعل بعض الباحثين يعد بحثا في هذه النقاط ومن هؤلاء العلماء الباحث نيكلسون والذي لخص هذه الأمور في عدة نقاط وهي:

١- "الاحتفال بدخول المريد في الطريق بطقوس دقيقة مرسومة وقد تطلب أحيانا من المريد قبل الدخول في الطريق أن يمضي وقتا طويلا شاقا في الاستعداد أو للدخول.

(١) بحث عن الطرق الصوفية في مصر للأستاذ التفتازاني بمجلة كلية الآداب مجلد ٢٥ صـ٦٩ وكتاب الطرق الصوفية صـ١٨مرجع سابق.

٢- التزين بزي خاص

٣- احترام المرشد أو شيخ الطريقة إلى درجة تقارب التقديس.

٤-اجتياز المريد مرحلة شاقة في الخلوة والصلاة والصوم وغير ذلك من الرياضيات.

٥-الاكثار من الذكر مع الاستقامة بالموسيقي والحركات البدنية المختلفة التي تساعد على الوجد والجذب."[١]

ولعل ما يميز كل طريق عن الأخرى هو لون زيها والأعلام فنجد علم الطريق الشاذلية ألوانه مختلفة، وعلم البدوية أحمر، وعلم الدسوقية اخضر، وعلم الجيلانية والرفاعية أسمر، فالخلافات كما ذكر التفتازاني والخلافات التي مازالت قائمة هي في الرسوم العملية فقط، كالأعلام والزي والأوراد والأحزاب التي يرددها الاتباع وما إلى ذلك فهي أشبه بمدارس تتحد غايتها في التعليم الروحي وتختلف وسائلها العملية فيه باختلاف المعلم الذي يجتهد في أن يضع لتلاميذه قواعد ومرسوما خاصة يري أنها أفضل في تعميمها والحقيقة أن الغاية القصوى من الطريق الصوفي عندهم جميعا كانت ولا تزال تتمثل في غاية خلقية، وهي إنكار الذات والصدق في القول والعمل "[٢])

ومن خلال كلام التفتازاني يتضح أن التصوف لم يكن موجودا في مصر قبل القرن الثاني وأم التصوف العملي فلم يكن قبل القرن السادس وهذا ما سجله المقريزي بأنه بدأ في سنة٥٦٩هجريا[٣]

"ومن خلال دراسة الكثير من كتب التاريخ التي تكلمت عن التصوف في مصر وبالأخص في القرن السابع الهجري نجد أن في هذا القرن قد حكم مصر سبعة عشر حاكما ستة من بني أيوب وأحد عشر مملوكا وهم:

١- الملك العادل سيف الدين أبو بكر الأيوبي وكانت مدة حكمه من سنة

(١) مدخل إلى التصوف صـ٢٨٦ مرجع سابق.

(٢) مدخل إلى التصوف صـ٢٨٦ مرجع سابق.

(٣) مجلة كلية الآداب جامعة الأزهر ج ٢٥ ص٦١ بحث نشر للدكتور التفتازاني.

٥٩٧هـ إلى سنة ٦١٥هـ

٢- الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر الأيوبي

٣- الملك العادل سيف الدين أبوبكر بم الملك الكامل وكانت فترة حكمه من سنة ٦٣٥هـ إلى ٦٣٧هـ

٤- الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد وكانت فترة حكمه سنة ٦٣٧هـ

٥- الملك ثوران شاه وكانت فترة حكمه من ٦٤٧هـ إلى سنة ٦٤٨هـ

٦- شجرة الدر وكانت فترة حكمه من ٦٤٨هـ إلى سنة ٦٥٧هـ

٧- الملك المظهر سيف الدين قطز المعزي وكانت فترة حكمه من ٦٥٨هـ إلى سنة ٦٧٦هـ

٨- الملك الظاهر ركن الدين بيبرس وكانت فترة حكمه من ٦٥٨هـ إلى سنة ٦٧٦هـ

٩- الملك السعيد أبو المعالي محمد بن الملك الظاهر بيبرس وكانت فترة حكمه من ٦٧٦هـ إلى سنة ٦٧٨هـ

١٠-الملك العادل سيف الدين سلامش بن الظاهر بيبرس وكانت فترة حكمه ٦٧٨هـ

١١-الملك المنصور قلاوون وكانت فترة حكمه من ٦٨٩هـ إلى سنة ٦٩٣هـ

١٢-الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون وكانت فترة حكمه من ٦٩٣هـ إلى سنة ٦٩٤هـ

١٣-الملك ناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وكانت فترة حكمه من ٦٩٣هـ إلى سنة ٦٩٤هـ

١٤-الملك العادل كتبغا وكانت فترة حكمه من ٦٩٤هـ إلى سنة ٦٩٦هـ

١٥-الملك المنصور حسام الدين بن عبد الله المنصوري وكانت فترة حكمه من

٦٩٦هـ إلى سنة ٦٩٨هـ

١٦-الملك ناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وكانت فترة حكمه من ٦٩٣هـ إلى سنة ٦٩٤هـ

١٧ عودة الملك ناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون مرة أخري إلى الحكم وكانت فترة حكمه من ٦٩٨هـ إلى سنة ٧٠٨هـ

وإذا ما نظرنا إلى القرن السابع الهجري نجد أنه من أهم القرون على مر العصور والأزمان ليس بالنسبة لأهل التصوف في مصر فحسب ولا للدولة المصرية، بل بالنسبة للأمة الإسلامية والدنيا بأثرها ولقد عد الدكتور عامر النجار في كتابه الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وأورادها عدة أسباب تبين مكانة هذا القرن وأهميته السياسية والاجتماعية ونظام الحكم ومن هذه الأسباب:

١- في هذا القرن هزم التتار في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ ١٢٦٠م علي يد سيف الدين قطز وبهزيمة مصر للتتار قد وهبت للدنيا الحياة وبالأخص أوروبا الذين تجرعوا الويلات من التتار.

٢- في هذا القرن ايضا أنقذت مصر العالم الإسلامي من خطر الصليبيين ومنعت حدوث ردة أخري ونكسة أندلسية ثانية.

٣- صارت مصر مركزا للخلافة العباسية في هذا القرن ففي زمن المستعصم أخر الخلفاء العباسيين هجم هولاكو علي بغداد وقتل الخليفة سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨هـ وبهذا زالت الخلافة العباسية من بغداد التي ظلت تحكم العالم الإسلامي قرابة خمسة قرون وبدأ ظهور الدولة الإسلامية المنفصلة عن بغداد التابعة لحكم الخلافة العباسية ويذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٦١٧ هـ أنه لم يقع علي المسلمين أذي منذ عهد النبي عليه السلام إلى هذا الوقت مثل ما أوقعه التتر علي المسلمين في هذا الوقت فقد وطئوا بلاد ما وراء النهر وملكوها وخربوها ومن ناحية أخري عدو لا يقل كرها ولا بغضا للمسلمين (الصليبيين) وقد ظهر من بلادهم في أقصي بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا إلى مصر فملكوا فيها

بلادا كدمياط وأقاموا فيها، ونجد ابن الأثير يسترجع قائلا وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهذا دليل علي مدي الخطر والتأثر الذي كان يحيق بالدولة الإسلامية والأمة العربية في هذ الوقت(١).

ففي هذا القرن نجد أن التصوف والحركات الصوفية وطرقه لها دور كبير وبالأخص الطريقة الشاذلية وعلى رأسها شيخها الشاذلي الذي جاهد في سبيل الله من أجل رفعة هذا الدين فكان لأبي الحسن الشاذلي دور كبير في الدعوة إلى الجهاد ضد الصليبيين، ولم تتوقف دعوته على الأقوال فقط، بل كان يذهب مع المجاهدين إلى ميادين القتال، كما حدث في موقعة المنصورة في عهد السلطان نجم الدين أيوب. حيث كان الشاذلي وعدد من كبار العلماء برفقة جيش المسلمين، ويومها ألقى خطبة حماسية حثت على الجهاد، وعند بدء المعركة ألحق الجيش المصري هزيمة ساحقة بالصليبيين، وأجبرهم على العودة مهزومين وهذا يبين أن السادة الصوفية الحق الذين تربوا على الكتاب والسنة والذين يعرفون قيمة الإسلام وقيمة الجهاد وليس كما يدعى البعض أن أهل التصوف أهل أكل وشرب وطبل ورقص وغير هذه الأمور التي روج لها أعداء التصوف.

وختاما: اسأل الله العلي القدير أن أكون قد قدمت ولو اليسير عن نشأة الطرق الصوفية فى مصر سائلا المولى عز وجل أن يتقبل منا عملنا هذا وأن يجعله فى موازين حسناتنا جميعا.

(١) الطرق الصوفية صـ٩٠-٩١ مرجع سابق.

نتائج البحث:

بعد الانتهاء من البحث خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

١-التعريف بالتصوف لغة واصطلاحا.

٢-اختلاف العلماء في اشتقاق كلمة تصوف فمنهم من يرى أنها كلمة مبتدعة محدثة وغير معروف وليس من الإسلام ومنهم من يرى أن التصوف من الأصول الثابتة فى الدين الإسلامي بل هو الإحسان المذكور فى الحديث الشريف حينما سأل جبريل عليه السلام سيدنا محمد قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.(١)

٣-أنه لا يمكن لأي باحث مهما كان أن يصل إلى تعريف للتصوف أجمع عليه الباحثون في هذا المجال أو اشتقاق وذلك لأن الطرق كثيرة والمذاهب والمشارب شتى.

٤- معرفة أهم الطرق الصوفية والساحات في مصر وبالأخص محافظة القاهرة والدور الذي تقوم به هذا الساحات من بناء مجتمع متدين بعيد عن التشدد والتطرف.

٥-تعريف الطريقة من حيث اللغة والاصطلاح، وكذلك الفرق بين الطريقة والمشرب، معرفة نشأة الطرق الصوفية فى مصر ذاكرا أول من ادخل التصوف فى مصر وأهم الطرق الصوفية فى مصر وبين المنهج المتبع والذي يكاد يتفق عليها كل الطرق فى مصر مبينا بعض الاختلافات الشكلية بين الطرق.

(١) أخرجه البخاري رحمه الله عن أبى هريرة رضي الله عنه رقم الحديث ٥٠.

فهرس المصادر والمراجع

١-أبحاث في التصوف للدكتور عبد الحليم محمود، المدرجة في مجموعة مؤلفاته طبعة دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى ١٩٧٩

٢-انظر (كتاب اللمع) بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٠ م.

٣-قضية التصوف المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي: د. عبد الحليم محمود، المكتبة التوفيقية، ط٢، ٢٠١٥م.

٤-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للأصبهاني ج ١ طبعة دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ

٥-الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية المسماة بالطريقة العروسية الشاذلية للشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الحازمي الطرابلسي سنة١٣٨٤هـ-١٩٦٤م دار الطباعة المحمدية بالأزهر –القاهرة.

٦-انظر كتاب التصوف علم واتباع والرد على من اتهموا رجاله بالابتداع بقلم عبد الإله الزهراوي الحامدي الشاذلي الطبعة الأولي ٢٠١٣طبع بمطابع دار نهضة مصر.

٧-انظر كتاب الصوفية والفقراء لابن تيمية، قدم لها الدكتور محمد جميل غازي دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع.

٨-مقدمة الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفي لبعض أبحاث نيكولسون التي قد ترجمها إلى العربية بعنوان في التصوف الإسلامي وتاريخه طبعة القاهرة ١٩٤٧م

٩-كتاب أبو الفرج بن الجوزي والتصوف السني الخلاف بين الفقه والتصوف في القرن السادس الهجري دار المشرق بيروت طبعة أولي ٢٠٠٧ الدكتورة مؤمنة بشير العوف.

١٠-انظر كتاب (الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي مصادره وآثاره) تحليل ونقد للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي الأستاذ بكلية دار العلوم دار

الهاني للطباعة والنشر.

١١-الثقافة الغربية في السودان من نشأتها إلى العصر الحديث عبد المجيد عابدين دار الثقافة والنشر ١٩٥٣م الخرطوم.

١٢-الطريقة الشاذلية فى السودان الشرقي – نهلة أحمد عبد الباقي بحث مقدم فى جريدة المعهد العالى للفكر الإسلامي سنة ال نشر٢٠١٤م الأردن.

١٣-بحث عن الطرق الصوفية في مصر للأستاذ التفتازاني بمجلة كلية الآداب مجلد ٢٥ ج بحث نشر للدكتور التفتازاني.

١٤-الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ط٢ دار المعارف تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود الشريف.

١٥-انظر قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير ج ١ المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد الناشر: دار الكتب الحديثة -الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ -١٩٦٨ م.

١٦-كتاب الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها-وأورادها-الرفاعي-الجيلاني-البدوي-الشاذلي – الدسوقي – عامر النجار بتصرف دار المعارف الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٨م.

١٧-كتاب جمهرة الأولياء للمتوفي الحسيني ج١ طبعة مؤسسة الحلبي القاهرة.

١٨-كتاب ظهور الحقائق في بيان الطرائق للسيد عبد الله بن علوي بن حسن العطاس الطبعة الخامسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٨٨٧م.

١٩-كتاب خاتم الوراث المحمدي للشيخ السيد محمد ماضي أبو العزائم اعتنى بطباعته السيد علاء أبو العزائم -دار الكتاب الصوفي الطبعة الأولي سنة ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٢٠-تاريخ العلاقات السودانية – التشادية أحمد سعى -رسالة ماجستير جامعة الخرطوم سنة ١٩٩٧.

٢١-أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، خالد مصطفى سنة ١٩٩٠ مكتبة القاهرة.

٢٢-اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية على جملة الطريقة الصوفية تحقيق د/ محمد عبد القادر نصار دار الإحسان سنة ٢٠١٥.

٢٣-كتاب تلبيس أبليس للإمام جمال الدين ابي الفرج الجوزي تحقيق خالد بن محمد بن عثمان قدم له علي عبد العال الطهطاوي الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ٢٠٠١م

٢٤-المذكرة الذهبية في الطريقة النقشبندية، عباس حسين بصري مكتبة إبراهيم غنيمي سنة ١٩٩٦م.

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

مُقَدِّمَة..... ٤٧١
خامسا: خطة البحث..... ٤٧٢
المبحث الأول: التعريف بالتصوف لغة واصطلاحا وفيه مطلبين..... ٤٧٢
المبحث الأول: التعريف بالتصوف لغة واصطلاحا..... ٤٧٤
المطلب الأول: تعريف التصوف لغة:..... ٤٧٤
المطلب الثاني تعريف التصوف اصطلاحا:..... ٤٨١
المبحث الثاني نشأة التصوف..... ٤٨٦
المبحث الثالث نشأة الطرق الصوفية..... ٤٩٦
المطلب الأول: تعريف الطريقة في اللغة..... ٤٩٦
المطلب الثاني: الطريقة في الاصطلاح..... ٤٩٦
المطلب الثالث بداية نشأة الطرق الصوفية..... ٥٠٠
المطلب الرابع بداية الطرق الصوفية في مصر..... ٥٠٧
نتائج البحث:..... ٥١٣
فهرس المصادر والمراجع..... ٥١٤
فهرس المحتويات..... ٥١٧